

## صفة المُلْك أقرب إلى المشرع والعقل والواقع

بسم الله الرحمن الرحيم

آتَى اللهُ تَعَالَى الْمَلِكَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا، وَخَتَمَ اللهُ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 247]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: (لِمَنْ أَلِمْ لِكُلِّ يَوْمٍ لِهَذَا الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [غافر: 16].

وَأَتَى اللهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ: (مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء: 54]، وَجَعَلَ صَالِحِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: (مُلُوكًا) [المائدة: 20]، وَبَعَثَ طَالُوتَ: (مَلِكًا) [البقرة: 247]، وَأَتَى دَاوُدَ: (الْمُلْكَ) [البقرة: 251]، (وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ) [النمل: 16]، وَقَصَّ اللهُ عَنْ: (مُلْكَ سُلَيْمَانَ) [البقرة: 102]، وَأَتَى يُوسُفَ: (مِنْ أَلْمُلْكَ) [يوسف: 101].

وَكُلُّ وِلَاةٍ أَمْرٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ صَالِحِينَ مِنْ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ (مثل من ذُكِرَتْ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ)، أَوْ طَالِحِينَ (مثل الجبابرة والمضارعة والمقاصرة والمكاسرة والأباطرة) كانوا ملوكاً بالوراثة في أغلب الأحوال أو بالقوة والغلبة، ومنهم المصلحون دون الأنبياء، والمطالحنون فوق الكفرة. وقد ولَّى اللهُ على المسلمين - بعد نبيِّه صلى اللهُ عليه وسلم - خير أئمة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم معاوية - رضي اللهُ عنهم وأرضاهم - من الصحابة، ثم تتابع المولاة من بني أمية وبني العباس من التابعين ومن بعدهم - رحمهم اللهُ تعالى -

وخيَّرَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم بين العبودية والملِكِ فاختار الأولى.

وإصطَلَحَ النَّاسُ عَلَى تَسْمِيَةِ (الأربعة الأول: خلفاء) تَأْوِيلًا لِلْحَدِيثِ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"، وتسميتهم من بعدهم: (أمرء المؤمنین)، تَأْوِيلًا لِلْحَدِيثِ: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً". ولما شكَّ أن ولاية الأربعة الذين أمر النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أمته بالتأسي بهم (كما أمر اللهُ الأمة بالتأسي به) خير من ولاية من بعدهم من الصحابة - رضي اللهُ عنهم - فمن دونهم، وألما علاقة للخيرية بمجرد مصطلح الخلافة أو الإمامة والإمارة والملِك: فقد وصف النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم المولاة (من الصحابة وولاية بني أمية) بالخلفاء في قوله: "لا يزال الدين عزيزاً (وفي رواية: قائماً)، وفي رواية: ظاهراً) إلى اثني عشرة خليفة". رواه مسلم وغيره.

وقال اللهُ تَعَالَى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) [النمل: 62]، أَي: يَخْلِفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) [ص: 26]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى مِمَّنِّي عَلَى قَوْمِ هود: (وَإِذْ كَرَّمْنَا إِدْرَجَ عِلْمَ خَلْفَاءَ مَنْ بَعْدَ قَوْمِ نوحٍ) [الأعراف: 69]، وَعَلَى قَوْمِ صالح: (وَإِذْ كَرَّمْنَا إِدْرَجَ عِلْمَ خَلْفَاءَ مَنْ بَعْدَ عَادٍ) [الأعراف: 74]، وَقَالَ عَنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) [الأنبياء: 73]، وَعَنْ آلِ فرعون: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَيْنَا) [القصص: 41]، وَاسْمِيَتْ سُلْطَنَةُ آلِ عَثْمَانَ التَّرْكِيَّةَ خِلَافَةً، وَالْأَوْلَى أَنْ تَسْمَى خِرَافَةً، لِإِفْسَادِهَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، أَبْعَدَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ!

ولما تزال أكثر دول أوروبا ملكية أو أميرية وراثية، وعلى رأسها انكلترا باسم الإمبراطورية، وكندا تستظل بظلها، ولما تزال اليابان ملكية وراثية باسم الإمبراطورية، وكثير من دول وإمارات آسيا وأفريقيا وراثية، ولم تجعلها صفة الوراثة أدنى أو أعظم من جاراتها. وظنَّ العرب أن تغيير الاسم يُغَيِّرُ المسم. فبدأت بتجربة التغيير بمصر، وتبعته العراق واليمن وليبيا، ولم تُرَضِ النتيجة شعوبها فسعت إلى التغيير بالطريقة نفسها: الثورة والخروج على المولاة بعد نحو نصف قرن، وكالعادة لم يحمِ الثوار أو شعوبهم العاقبة. واختار اللهُ لبلاد مجلس التعاون الخليجي وأهلها الرضا بقسمته، والمحافظة على شرعه في معاملة المولاة (غير شذمة ضالمة لا خلاق لها في الدين ولما في الدنيا): فصارت دول المجلس مثلاً لحسن العاقبة في العلم والعمل والدين والدنيا والأمن والغنى. وسنَّتْ دولة البحرين سنة حسنة بعودتها إلى الفطرة وتحولها إلى الملكية الوراثة بعد أن ظنَّ العرب أن الملكيات أخرى بالنقص منها بالزيادة، فأخلف اللهُ بفضله ظنَّهم.

ولعلَّ دولة قطر (وغيرها) تتلَوُّ والبحرين فتخلف ظنَّ السوء.

أما دولة التوحيد والسنة (المملكة العربية السعودية) فهي خيرٌ مَثَلٌ على حفظ فطرتها وحفظ شريعة الله لها ولكل عباد الصالحين، وكان ولما في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري يلقبون بالأممَّة، وكانوا بفضل الله ومنته أئمة يدعون إلى تجديد الدين

بالعودة به إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته - رضي الله عنهم - وإزالة ما علق بالدين من البدع، خاصةً ما تلبَّس به تديُّنُ أكثر المسلمين من الشرك الأكبر بدعاء أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والمأضرحة (أوثان وأنصاب الجاهلية الأولى والمأخرية)، ولقِّب ولاداتها في القرنين الأخيرين بالملوك والأمراء، وقامت دولتهم المباركة بما قام به أجدادهم من الأمر بإفراء الله بالعبادة والمنهي عن صرف شيء من الدعاء وغيره من العبادة لغير الله أو إشراكه معه، والأمر باتباع السنة، والمنهي عن الابتداع في الدين، وما دون ذلك من شريعة الله تعالى. حفظها الله وحفظهم قدوةً صالحةً للمسلمين وذخراً للإسلام.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن المحصين عفا الله عنه، تعاونوا على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان.

1433/2/11هـ